مقاومة الاستبداد بين الشعرين:العربي والأردي

Renitency of Despotism in Modern Arabic & Urdu Poetry

د. عبيد الرحمن السيالكوتي*

ABSTRACT

A huge part of the poetic and prosaic production of all the major literatures contains such example that have been written in the form of poetry defending the rights of despoiled people and challenging the power and despotism of the rulers. These workings are worth of study because they contain a sublime human message, a concessionary thinking, a moral depth and a fascinating impact on the hearts/minds of the public at large. These messages were accepted by the common people and won their hearts because it was a literature of meaningful message and determination and not a literature of adulation and humiliation.

in the twentieth century, the Urdu literature honored with the presence of big names such as Faiz Ahmed Faiz, Habib Jalib, and Ahmed Faraz. Their rose their voice with all its strength against the manifestations of all kinds of despotism especially the political despotism in their societies and countries and enriched the literature of despotism. In the Arabic literature, poetry of renitency to despotism grew stronger, became handsome and improved headed by Ahmed Mater from Iraq, Mohamed Mehmood Al-Zubairy from Yemen, and others. Among the incentives of this research work, one is the beauty, strength and steadfastness of the literature Renitence despotism. It is a literature that attained immortality and survival and thus fitted with every time and place because the tragedy is repeated in the same form and the message appears with the same force. For example, the Urdu poems that were written in the times of dictatorship in seventies and eighties of the twentieth century are still valid and suit our environment and as narrated and sung with the same power and interest. This research work aims at the for the points of convergence and similarities between Arab and Urdu poets in the field of political poetry in general and the Poetry of Renitency to Despotism in particular and compare the technical and thematic characteristics of the poetry the poets of both the languages have been made besides describing the individual and common features that they have.

Keywords: *Renitency, Despotism, Dictatorship, Fazi, Jalib, Zubairi, Matar*

CamScanner

مفهوم الاستبداد وتاريخه

الاستبداد[١] مأساة إنسانية قديمة ولها تاريخ موغل في القدم، تظهر بألوان عديدة وتتكرر بأشكال مختلفة، وتعاني منها الإنسانية منذ قديم الزمان وما زالت تعاني في العصر الحديث وإن خفّت حدة الظاهرة في العصر الحاضر بفضل الأنظمة الديمقراطية وتقارب الأمم والاتصال السريع والوعي السياسي اليقظ لدى الشعوب والأفراد. والاستبداد "هو أحد أشكال الحكم يتولى السلطة العليا فيه ملك أو جماعة صغيرة بمقتضى دستور أو بدونه، ويتميز بالسلطة غير المحدودية أو الاستبدادية"[٢]. والحكومة الاستبدادية هي الحكومة التي لا تخضع في ممارستها لسلطة القانون أيا كان مصدره، فالمحدد الأول والأخير لوسيلة الحكم وعلاقة السلطة بالفرد هو الحاكم صاحب السيادة الوحيد. فلا توجد في ظل الحكومة الاستبدادية حريات حقيقية لأن الاستبداد يؤدي إلى إنقاص بل إهدار الحريات"[٣].

ومن فطرة الله في الكون والخلق أنه لا يوجد استبداد وإلا تظهر معه المقاومة، لأن النفوس لا تقبل الجور والضيم فتثور عليه ولذلك اقترنت المقاومة بالاستبداد منذ بداية التاريخ البشري. وكما نعرف أن "الشعر ارتبط منذ بداياته بتصوير معاناة الإنسان والتعبير عن مكنونات وجدانه والكشف عن مستور خلجاته"[٤]، فيجد الدارس لجميع الآداب الكبرى أن قدرا كبيراً من المادة الأدبية كان وليد التقلبات السياسية والتغيرات الحكومية، وكذلك شأن الأدبين العربي والأردي فنشأ كم كبير منهما في قصور الحكم وفي صحبة الملوك والخلفاء والوزراء والأمراء وإثر حروب ومعارك واشتباكات. ففي حين تروي لنا كتب الأدب قصصا كثيرة عن اكتساب الشعراء المرتزقين هبات وعطايا من الملوك ثمن تملقهم ومبالغتهم في مدحهم تروي لنا كذلك قصص شعراء ذهبوا ضحية شعرهم لاختلاف الرأي ومعارضتهم للسلاطين والملوك، لأنهم -على العكس من الشعراء المتواردين على أبواب الملوك والخلفاء والوزراء -لم يبيعوا كلمتهم وفنهم وحريتهم بثمن بخس بل أدركوا كرامة فنهم فاتخذوه سلاحا لإعلاء كلمة الحق ضد الاستبداد والظلم والجبر غير مبالين بما ألقى عليهم من

---

(١) تتضمن كلمة "الاستبداد" في المعاجم اللغوية والموسوعات السياسية المختلفة مدلولات متقاربة مثل الحكم بلا زمام والقوة المطلقة وسلب الحرية وغصب الحقوق الفردية واحتكار شيء وغيرها، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم ، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ،٣/٨١ و مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية بدولة الكويت. ط٣، ١٤٢٥هـ، ٣/١٦٦ وكذلك: لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط٢١، ١٩٧٣، مادة (ب دد)، ص: ٢٨

(٢) بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط١٩٩٧م، ص:٣

(٣) الخطيب، نعمان أحمد، الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة السابعة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص:٢١٣

(٤) العطوي، مسعد بن عيد، تأملات في الشعر العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، أردن، ط ٢٠١٤م، ص:٥

ألوان التعذيب من النفي والقتل والأسر والضرب وغيرها.

ونظرا إلى أهمية هذه التيار الشعري المناهض للطغيان ودوره العظيم في التوجيه الفكري لدى الشعوب تستهدف هذه الدراسة إبراز ما يلي من النقاط المهمة:

التمهيد، وفيه مفهوم الاستبداد وتاريخه

١- من أسباب ظهور المقاومة الشعرية

٢- الشعر الأردي المقاوم وريادته

٣- المقاومة في الشعر العربي المعاصر وريادته

٤- تقسيم موضوعات الشعر المقاوم إلى أربعة أنواع

النوع الأول: الموضوعات المتعلقة بمعاناة ضحايا الاستبداد

النوع الثاني: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوة المستبدة

النوع الثالث: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوات المساعدة للاستبداد

النوع الرابع: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالشعوب التي تعاني مأساة الاستبداد

٥- بعض خصائص شعر المقاومة

٦- الخاتمة

٧- النتائج

أولا: من أسباب ظهور المقاومة الشعرية

في النصف الثاني من القرن العشرين وبعد تحرر معظم البلاد الإسلامية وإقامة حكومات محلية بعد انصراف الاستعمار وتحولها إلى الحكومات المستبدة تكاتف شعراء العرب وشعراء الأردية مع الحركات الشعبية ضد الاستبداد والديكتاتورية وأسهموا في إيقاظ الوعي الإنساني العام لدى جميع الطبقات ونفخوا فيها روح الحماس وألهبوا نار الغيرة، وهذا وفر لنا بابا مستقلا باسم أدب "مقاومة الاستبداد" أو "أدب الثورة" أو "شعر اجتماعي" أو "شعر سياسي" كما شاع في الأدب العربي أو كما عرف في الأدب الأردي باسم "مزاحمتی ادب" (أدب المعارضة أو الأدب المقاوم). ولعل المصطلح الأردي يناسب الغرض أكثر من المصطلح العربي الذي فيه نوع من الاتساع، فقد يحتمل "الأدب السياسي" شعرا غير شعر المقاومة بما فيه شعر مديح الحكام وشعر الوقائع والأحداث والمناسبات السياسية وغيرها. ويجب ألا يغفل عن بالنا أن أدب المقاومة بصفة عامة قد يعنى به "الأدب الذي يصور مقاومة الشعوب للاحتلال والاستعمار"[1] إلا أن المقاومة عندما تكون ضد الاستبداد المحلي أو ديكتاتورية الحكام فحينئذ يستخدم في الأدب العربي مصطلح "الأدب السياسي" أو

(١) نواف نصار، المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، أردن، ط١، ٢٠٠٧م، ص:١١

"أدب الثورة" تعبيرا عن هذا النوع من المقاومة التي تتخذ من مظالم الحكومة ومخازي الحكام موضوعها الأساسي، وتستخدم كلمات مثل "شعر سياسي" أو "شعر اجتماعي" لهذا اللون الشعري.

ثانياً: الشعر الأردي المقاوم وريادته

سرى عدد كبير من شعراء الأردية ركبا متحدا قاصدا نحو هدف واضح وواعيا بوعورة الطريق ومخاطره ومستعدا لأي تضحية من أجل مقاومتهم، وبفضلهم أصبح المقاومة الشعرية الأردية للاستبداد سجلا مفتوحا يصف مظاهر الاستبداد ومآسيه بدقة، ومجهرا قويا يزيل الستار عما دبر من مكايد ضد الشعوب المستكينة في عصور الاستبداد، ووصفة ناجحة تشخص مواضع هذا الداء العضال وتصف علاجا لقمعه والتخلص منه. ولا يتنازع اثنان في أن الريادة في الشعر الأردي المقاوم لثلاثة شعراء كبار، على رأسهم الشاعر الرومانسي ذي النغمة الهادئة فيض أحمد فيض[1] والشاعر الثوري صاحب الصرخة الاحتجاجية المتعالية حبيب جالب[2] وشاعر الشبان أحمد فراز[3]. وحوى شعرهم موضوعات عديدة تتعلق بالشعب الباكستاني الذي عانى مأساة الاستبداد في فترات متتالية كما كشف عن جوانب عديدة لمدى مسئولية الشعب نفسه في جر وبال الاستبداد على نفسه وأناروا درب الكفاح وطريق الأمل أمامه.

وأول ما يلمحه الدارس خلال دراسة الشعر الأردي المقاوم مظاهر الخوف المسيطر والذعر المنتشر والقسر السائد على أجواء البلاد بكل شدتها، وتتجلى صور عديدة تنبئ عن الأحوال النفسية والفكرية والأمنية والعملية التي سادت خلال عصور الاستبداد. ورسم شعراء المقاومة صورا محزنة لمعاناة شعبهم خلال فترة الاستبداد، إذ يجرب المستبد كل أساليب الظلم المبتكرة لتخويف معارضيه وكبح صوت الحرية، ويحاول إعادة أذهان شعبه الحر إلى زمن الرق وينزل عليه من أجل ذلك كل هوان، فجاء نعيهم على هذه الأحوال التي حلت بالوطن بنغمة حزينة مشتركة رسمت لنا قساوة الأوضاع في العهود الاستبدادية فجزعوا وشكوا دون أن يفلت من أيديهم خيط الأمل أو يغلبهم نوع من اليأس كما نجد كل شاعر مقاوم ينسى همومه الشخصية الذاتية ويدخل المعترك السياسي بسلاح الشعر ودرع القصيدة يهاجم عدوه المستبد ويدافع عن شعبه

---

(۱) ولد عام ۱۹۱۱م بمدينة سيالكوت، تعلم في مدينته العلوم مبادئ العلوم الدينية واللغة العربية، وحصل على شهادة بكالوريوس الشرف في اللغة العربية فضلا عن ليسانس الشرف ثم حصل على شهادتي الماجستير في اللغة العربية واللغة الإنجليزية. وتوفي سنة ۱۹۸٤م. إشفاق حسين،"فيض احمد فيض، شخصيت اور فن" (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن)، بالأردية، اكادمى ادبيات پاكستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط۲، سنة ۲۰۰۸م، ص:۱۳ وما بعدها (باختصار)

(۲) طاهر أصغر، "جالب بيتى"، بالأردية، (سيرة جالب بلسان جالب)، الناشر: جنگ پبلشرز، لاهور، باكستان، ط ۱۹۹۳م، ص: ۱۲۹

(۳) مجموعة من الباحثين، "انسائيكلوپيڈيا ادبيات عالم"، بالأردية، (موسوعة الآداب العالمية)، إصدار: اكادمى ادبيات پاكستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط۱، ۲۰۱۳م، ص:۸۰۹

المستعمرين المستكين ويعبر عن تطلعات الشعب وآماله ويصور المعاناة المزدوجة للشعب. ويتألم لما يرى ويحزن لما يشاهد ولا يملك نفسه إلا ويصرخ في وجه المستبد يتحداه بكل قوة وشدة. والتوافق المعنوي والتشابه التصوري بين شعراء المقاومة جلي باد لا يحتاج البحث عنه إلى جهد كثير.

ثالثاً: المقاومة في الشعر العربي المعاصر وريادته

أما الأدب العربي فمصطلح "أدب المقاومة" معروف فيه تعبيرا عن كفاح وجهاد الشعراء والأدباء ضد القوى المستعمرة والمحتلة، أما مقاومة الاستبداد المحلي فإلى الآن لم يظهر ولم يستقر له مصطلح مستقل وعادة يطلق على هذا اللون من الأدب "الأدب السياسي" بمفهومه الواسع الذي يضم كل ما فيه من شعر المناسبات ومدح الحكام والاختلاف عنهم وغيرها من الموضوعات، ولا يعني غياب المصطلح أو عدم الاتفاق عليه غياب الشعر العربي في هذا الباب، بل ما طبع منه هو كثير، وما لم يظهر بعد هو كثير كذلك، ومن المنشور ما طبع فورا ومنه ما أجل نشره من أجل الاتقاء من مخاطر معلومة.

وهناك ثلاثة شعراء عرب كانوا على رأس قائمة الشعراء الذين عرفوا بلهجتهم الثورية وشعرهم المقاوم في الأقطار العربية الثلاث مصر في الفترة بعد انصراف الاستعمار، ويعتبر الشاعر اليمني أبو الأحرار محمد محمود الزبيري[1] أعلى صوت ثوري ضد الاستبداد الذي حل بأرض اليمن، قضى حياة مليئة بكفاح سياسي مصحوبة بمقاومة شعرية مؤثرة. وقف معظم شعره لقضيته الكبرى، حرية بلاده وشعبه، فأوجد لنفسه مكانة متميزة في الشعر العربي اليمني[2]، وهو رائد الحركة الإصلاحية اليمنية وداعية السلام والحرية والعدالة في تاريخ اليمن المعاصر[3] وعلق اسمه بذاكرة التاريخ مقرونا بأول معارضة لحكم الإمامة في اليمن ثم انقلاب ١٩٤٨م وبأول عمل صحفي حر في اليمن ثم انقلاب ١٩٥٥م[4]، وأخيرا كمم فمه بعد ما قتلته يد مجهولة،

---

(١) محمد بن محمود الزبيري، سياسي، شاعر ثائر، من صنعاء، ولد سنة ١٩١٠م، له ديوانان، "ثورة في الشعر" و"صلاة في الجحيم"، وكتب أخرى صدرت بعد وفاته، واغتيل سنة ١٩٦٥م. محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، (النسخة الإلكترونية)،مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص:٧٠٨

(٢) هيئة المعجم، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط١، ٢٠٠٨م، ٨٣/١٩

(٣) المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر التوزيع، صنعاء، الجمهورية اليمنية والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ط١٤٢٢هـ ، ٧٣٦/١

(٤) الزركلي، خير الـ... ط١٥، مايو ٢٠٠٢م، ٩١/٧. وانظر: المقحفي، إبراهيم

وأذاب الزبيري حقا حياته في شعره كما ذاب شعره في حياته حتى لا يمكن الفصل بينهما[١]. وأخرج اليمن من عزلتها وأزمتها بشعره وبكلمته، رافضا كل أنواع العروض والمغريات لأنه يؤمن بأنه: البسيط

ولـــيسَ يُجْـــدي دَفِينـــا، أنَّ حفرَتَـــه
مُزدانـــة طَفَحَـــت بالعِطـــر والعُـــود[٢]

والشاعر الشاب الشهيد هاشم الرفاعي[٣] (١٩٣٥م -١٩٥٩م) من أولئك الشعراء الذين لم يمنحهم القدر فرصة كافية وطويت صفحة حياتهم بسرعة مثل الشابي فقد اغتيل وهو في الحسن الرابعة والعشرين من عمره. وكان في تجاربه الشعرية الدينية يحاول استنهاض العزائم حتى تعود الأمة الإسلامية كما كانت في عهدها الذهبي قوة عزيزة المنال لها صوتها وهيبتها ومكانتها"[٤]. وديوانه "جراح مصر" هو ذلك العمل الشعري الذي يفصح عن اختلاجات الشاعر في العهد الذي عاشه والمأساة التي حلت بمعارضي الحكومة ومطالبيها بحرية الرأي عن التعبير، ويقال إن الشاعر قالها سريا ولم ينشرها باسمه في حياته وكان أخوه هو الذي نشرها بعد قتله ولم يفعلوا ذلك إلا خوفا بتنكيل الحكام به وإلحاق أضرار بأسرته. ويضم الديوان المذكور عشر قصائد تصف الأوضاع في ذلك العهد وتصور المأساة التي ابتلى بها الشعب المصري في تلك الفترة. وخير ما يلخص فكره الشعري هو بيته: الكامل

كُـــلُّ الَّـــذي أَدرِيـــهِ أن تَجَرُّعِـــي
كَـــأْسَ الْمَذَلَّـــةِ لَـــيْس في إمْكَـــاني[٥]

والشاعر أحمد مطر[٦] أشد صوت ثوري مدوي في العالم العربي منذ أربعة عقود باستمرار يرسم

---

(١) الزبيري، محمد محمود، مقدمة ديوان الزبيري، دار العودة، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٦م ص: ١٣

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٨٨

(٣) سيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي، كان ينتمي إلى أسرة دينية وعلمية. انظر: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١/ سنة ١٤١٤هـ ، ص:٤/٥١ وانظر: هيئة المعجم، معجم البابطين، ٤٦٥/٢١ وانظر: الرفاعي، هاشم، ديوان هاشم الرفاعي، جمع وتحقيق: محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص: ١٦

(٤) د. صابر عبدالدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ، ص: ٣٢٣

(٥) الرفاعي، ديوان هاشم ، قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ"، ص:٣٦٠

(٦) أحمد مطر، شاعر عراقي معاصر، ولد في البصرة في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، وهو مستقر حاليا في لندن بعد سلسلة النفى التي واجهها بسبب شعره المعارض الذي تميز به حتى الآن. الوحش، محمد موسى، موسوعة أمراء الشعر العربي، دار دجلة للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٨م، ص: ١٠٩

معاناة الشعوب العربية بأدق تفاصيلها ويهجو الأنظمة الحاكمة المستبدة بلهجة صارخة وساخرة وصور بالغة في الهجاء والنقد، صاغ من شعره سيفه الذي يشق به صدر الطغاة المستبدين. شعره تلك المرآة الصافية التي تعكس لنا صورا واضحة لمآسي الاستبداد القابع على الأراضي العربية دون تغيير وتحريف. دفع ثمن جرأته فنُفِي من الكويت ولما ضاقت به أرض البلاد العربية أمن له العيش بلندن حيث يقيم منذ ثلاثة عقود أخيرة[1]، عمل في مجال الصحافة واستقال لشعوره باختناق نفسه في أجوائها الضيقة. والحرية هي الفكرة الوحيدة التي تسود دواوينه كلها، وذلك سمي حقا "شاعر الحرية" وسماه آخرون بـ"ملك الشعراء".

ولكشف خبايا الاستبداد ورزاياه أكثر في شعره استخدامه لصور ساخرة وعبارات بالغة في الهجاء وتناوله لقضايا لم يجرؤ أحد غير مطر على إثارتها والتنبيه إليها، فهناك من سماه "شاعرا ساخرا" دون أن يحط هذا اللقب من قيمة شعره. فالحكم على الشاعر أحمد مطر بالمبالغة في النقد والاستهزاء بالحكام لا يخلو من الصدق لوجود عشرات بل مئات الأمثلة الشعرية لذلك غير أنه لا يمكن للقارئ إهمال هذه الصور والتهاون بها بمجرد هذا الحكم لأنها صورتفيض بالحقائق المؤلمة التي لا يمكن لأحد رفضها والهروب منها، وتحاول الحكومات المستبدة دائما إخفائها وخاصة فيها غير قليل من القضايا التي لم يجرؤ أحد غير مطر في إثارتها والتنبيه إليها.

ولا يستقيم أمر الأفراد والمجتمعات في رأي أحمد مطر إلا بمعيار العدل، ولا يمكن التعويض عن خسارة العدل بأي مظهر من مظاهر التقى والصلاح:

لنْ تَقوَى عِندي بالتَّقوى- ويَقينُكَ عندي بُهتانْ
إن لم يَعتَدِلِ الميزانْ - شَعْرَةُ ظُلمٍ تَنسِفُ وَزنَكَ
لو أنَّ صلاتَكَ أطنانْ- الإيمانُ الظالمُ كافر
والكُفرُ العادِلُ إيمانْ- هذا ما كتب الرحمنْ[2]

رابعاً: تقسيم موضوعات الشعر المقاوم إلى أربعة أنواع:

وتشابهت آراء شعراء المقاومة العرب والأرديين في قضايا عديدة وتقاربت أساليبهم وحتى كلماتهم في بعض الأحيان تعبيرا عما يتعلق بهذه القضايا. ويمكن تقسيم الموضوعات والقضايا التي دار شعر المقاومة العربي والأردي حولها إلى أنواع أربعة رئيسة وهي كما يلي:

النوع الأول: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بمعاناة ضحايا الاستبداد، أفرادا وجماعات وقبائل في العهود الاستبدادية.

---

(١) المرجع السابق

(٢) مطر، أحمد، لافتات ٥، قصيدة "وليد الدار"، منتديات الأنيكوة، لندن، ط ١٩٩٤م، ص:٥٦

النوع الثاني: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوة المستبدة كانت فردا أو طائفة كالجيش المحتل المستبد أو أسر معينة أو طبقات معينة.

النوع الثالث: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوات التي تمد الاستبداد بعونها وهي تتمثل في أفراد وجماعات وأحزاب وطبقات ومؤسسات.

النوع الرابع: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالشعوب المسكينة التي تعاني مأساة الاستبداد لحقبة قصيرة أو طويلة.

النوع الأول: الموضوعات المتعلقة بمعاناة ضحايا الاستبداد

وأكثر الشعراء المقاومون من تصوير ما عاناه ضحايا الاستبداد في العهود الاستبدادية ووصفوا مرارة العيش التي ذاقوها على يد المستبدين الطغاة. ويدخل بنا هذا النوع من الشعر في غياهب السجون والزنزانات والمعتقلات وغيرها من أماكن التعذيب حيث رسم الشعراء أحوال المعذبين القاسية في شكل أبيات كثيرة وقصائد كاملة، كما تجلت مآسي المفقودين الذين اختطفتهم القوات الأمنية التابعة للطغاة المستبدين فذهبت آهاتهم سدى في الأجواء دون أن يعثر على أثر لهم. كشف أحمد مطر في قصيدة عن حقيقة تزييف أسباب موت الذين تختطفهم أيد سرية لاشتباهات ثم يعثر على جثثهم مرماة في شوارع أو غابات أو تكشف تقارير طبية مزيفة عن أسباب موتها، والقصيدة عبارة عن طالب يدرس في كلية الطب وذهب ضحية لطبعه المتجسس فاختطفه رجال الأمن وبعد أيام عثر عى جثته بأثر رفسات وجروح بندقية:

وبعد يوم واحد أفرج عن جثته بحالة أمنية:

في رأسه رفسة بندقية في صدره قنبلة بندقية في ظهره صورة بندقية[١]

غير أن التقرير الذي أصدر من المستشفى كان يرفض هذا الواقع وكان ينص على أنه مات بسبب سكتة قلبية. وعلى هذا المنوال ذهب المئات والآلاف ضحايا للجرائم التي ترتكبها الهيئات الأمنية وظلت آهات المنكوبين تذهب سدى دون صدى. ومن تلك القضايا قساوة الأحوال التي ذاقها اللاجئون والمتشردون بسبب قهر الاستبداد فضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وأشد ما يتأثر بالاستبداد ممن يتأثر به طبقات العمال والفلاحين والفقراء فجاء في شعر مقاومة الاستبداد تفصيل وفير لمآسيهم. وصف الشاعر هاشم الرفاعي مشاعرهم أدق وصف في قصيدتيه، أحدهما "غرام لاجئ" وثانيهما "وصية لاجئ" وهي عبارة عن خلجات لاجئ متشرد، يقول:

مَأســـــاتنا مأســـــاة ناس أبـــــرياء
وحكايـــة يغلـــي بأســـطرها شـــقاء

---

(١) مطر، أحمد، لافتات ٢، قصيدة "الطب يضر بصحتك"، ص: ١٩

حملـــت إلى الآفـــاق رائحـــة الـــدماء

وجـــريمتي كانـــت محاولـــة البقـــاء[1]

وتجلت معاناة اللاجئين والمنفيين عند شعراء المقاومة في قصائد متعددة، فمثلا قصيدة (بن باس) لأحمد فراز عبارة عن حكاية شاعر حظي بالعودة إلى وطنه الحبيب بعد ما عانى عذاب الغربة فترة طويلة فمشى يسافر إلى الوطن ولما اقترب من البوابة المركزية الداخلية إذا بها حراس بالبنادق والرماح خاطبوا نغمته بسلاحهم، وما أوسع الفجوة بين وعي الشاعر ذي النغمة الهادئة والحراس أولي السلاح الشوكي، أنكروه ولم يصغوا إلى استئذان الشاعر الذي تمنى أن يدخل باب المدينة فكان نصيبه أن يتيه بجسده المعزق ونفسه المقتاعة وروحه الجريحة في الصحاري والغابات:

میں اپنے جسم کا ملبہ سا زکالا شہ اپنے شہر کے شہ

دروازے کی دہلیز پہ چھوڑ کے پھر انجانے

شہروں کی شاہراہوں پر مجبور سفر ہوں[2]

أي: "انهالت على تلك الرماح المسددة فحطمت نغماتي، إلا أن دمي المتقطر ونغماتي التي تئن دخلت المدينة من دهليز البوابة أما أنا فتركت مخلفات بجسدي وبجثة نغماتي على دهليز البوابة المركزية واضطررت إلى بدء رحلة نحو مدن غير معلومة".

وكان الشاعر أحمد فراز وصف في قصيدة "الجوهري" حالة بؤس الفقراء وكيفية اضطرارهم وعجزهم الذي يعيشونها كما تكشف الستار عن تلك الطبقات الظالمة التي يستغلون بؤسهم لمصالحها المادية والمالية، لا يحدث ذلك إلا بسبب فقرهم واحتياجهم:

مجھ پر روشن ہے کہ اس جنس گرانمایہ کو

میرے افلاس نے کم نرخ بنا رکھا ہے

دیکھ کر میری نگاہوں میں طلب کی شدت

تو نے انصاف کو نیلام چڑھا رکھا ہے[3]

أي: "أعلم أن فقري هو الذي خفض سعر هذا الجنس الفريد، وأعرف أن شدة الاضطرار الذي

---

(١) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "ثروة"، ديوان الرفاعي، ص: ٣٤٥

(٢) فراز، أحمد، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (في طرقات صامتة)، قصيدة "بن باس" (بلا رائحة)، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط٢٠١٠م، ص:٢٢

(٣) فراز، أحمد، ديوان "تنہا تنہا"، (وحيدا منعزلا)، قصيدة "صراف" (الجوهري)، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط١٩٩٨م، ص:٨٤

يلوح في عيني منحك فرصة لتهدر دم العدل".

والشاعر حبيب جالب في قصيدته المعنونة بـ"الرقص" يتعاطف مع راقصة استدعيت للرقص أمام رئيس ضيف جاء لزيارة باكستان آنذاك، فأبت بأن تفعل هذا فجيء بها وهي مغلولة وأجبرت على الرقص أمام الحضور، صورت القصيدة تصويرا مؤلما ومؤثرا في وقت واحد ورسمت لنا مدى الشقاء التي تعاني منها المرأة في أحيان كثيرة ومدى العجز الذي تعيشه وما أصدق تعبيره إذ قال:

تو کہ ناواقف آداب غلامی ہے ابھی
رقص زنجیر پہن کر بھی کیا جاتا ہے(۱)

أي: "جهلتِ آداب العبودية، فإنه بالإمكان الرقص مقيدا بالأغلال والقيود".

النوع الثاني: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوة المستبدة

والنوع الثاني من الشعر المقاوم هو تلك الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوة المستبدة كانت فردا أو طائفة كالجيش المحتل المستبد أو أسر معينة تحكم رقاب الشعب كله، أو طبقات معينة كاضطهاد طبقة البراهمة في الهند، وما يشترك فيه مستبد كل عصر ومصر هو أنه أول ما يسعى إليه هو الاصطباغ بصبغة شرعية ليكتسب قدسية شرعية في قلوب الجماهير فيعتبر الانقياد لأوامره طاعة لله والاختلاف عنه معصية للخالق الجبار، وقد يزداد الأمر سوءا فيدعى المستبد مرتبة الألوهية ودرجة الربوبية، ويظن الشعب أن حياته رهينة بوجود الحاكم لو لاه لفقد الشعب وجوده، يقول الزبيري:

وهو روح في الشعب لو تهجُرالشعب
تلاشى كجيفةٍ وتبدد
وهو الدين والشريعة لو فارقه
شعبنا لألحد وارتد(۲)

ويقترب منهم لفظا ومعنى حبيب جالب الذي عبر الإفلاس الفكري لدى الشعب الذي يؤمن بأن بقاءه مناط ببقاء الحاكم، يقول جالب:

تو خدا کا نور ہے
عقل ہے شعور ہے
قوم تیرے ساتھ ہے

تیری ہی وجود سے
ملک کی نجات ہے
تو ہے مہر صبح نو
تیرے بعد رات ہے[1]

أي: "أنت نور الله، وأنت العقل والفكر. والشعب معك. ولا بقاء للبلد إلا بك. أنت الصبح المبتسم، ولا شيء بعدك إلا الليل".

وفي العصر الاستبدادي تتركز السلطة والثروة والنفوذ في أسر معدودة فيصبح الملك رهنا لديها يتوارثه جيل بعد جيل دون أن يكون لبقية الشعب أدنى حق في تقرير مصيرهم إلى درجة أن الملك يصبح حقا أساسيا لهذه الأسر فتعامل بقية الخلق معاملة الرق والعبيد، ولا يكون هذا الارتكاز سياسيا فحسب بل يكون اقتصاديا واجتماعيا وقد يكون دينيا أيضا. وهذه مأساة متكررة بأشكالها الشتى في كل بلد، ونجد أصوات شعراء مقاومة الاستبداد قد تشابهت في هذه القضية، فالشاعر الزبيري الذي يشكو من الحكم الإرثي ومن أن صبية صغارا للأسر الحاكمة تخر لهم جباه الكبار الكرام ساجدين إذ يقول:

منذ كانوا أجنة فهم إما
ملوكٌ أو أولياء عهود
يَرثون الشعب إرثاً رَخِيْصاً
دون كد وَدُونَ بَذْلِ جُهُود[2]

والشاعر أحمد فراز يصور معاناة الطبقات البائسة علي أيدي هذه الأسر الحاكمة قائلا:

بیس نہ سو ہزار نہ لاکھ ہیں پورے آٹھ کروڑ
اتنے انسانوں پر لیکن چند افراد کا زور
مزدور اور کسان کے حق پر جھپٹیں کالے چور
اے بھوکی مخلوق[3]

أي: "أيها الخلق الجائع عجبا أمرك،ليس مئات وآلاف، بل عددك ثمانون مليون نسمة ورغم ذلك أرى طائفة صغيرة تسلطت على هذا الجمع من الناس وأرى قطاع الطرق ينهبون أموال العمال والفلاحين".

---

(١) جالب، ديوان جالب، قصيدة "مشير" (المستشار)، ص:١٤١

(٢) الزبيري، ديوان الزبيري، قصيدة "من أحرار اليمن إلى أحرار العراق"ص:٢١٦ و٢١٧

(٣) فراز، أحمد، ديوان "تنہاتنہا"، (وحيدا منعزلا)، قصيدة "اے بھوکی مخلوق" (أيها الخلق الجائع)،ص:٥٩

ويوافقه صوت حبيب جالب الذي يشكو تسلط عشرين أسرة على رقاب الملايين من الناس منذ عصور طويلة وهم يعيشون تحت وطأة ظلمها يائسين من تغير الوضع، يقول:

بیس گھرانے ہیں آباد-اور کروڑوں ہیں ناشاد
آج بھی ہم پر جاری ہے-کالی صدیوں کی بے داد[۱]

أي: "أصاب الرخاء عشرين أسرة وحرم مئات الآلاف، ما زلنا نعيش في ليلة تغشانا من قرون سوداء".

ولعل الرفاعي يشبه أحمد فراز وفراز جالب اللذين يشكوان سيطرة القلة المتمثلة في الآلاف على الأغلبية المتمثلة في الملايين، إذ قال:

قد أغمضَ القومُ أجفانًا مقرَّحةً
على الهَوان وإنْ كانوا ذَوي عَدَد[۲]

النوع الثالث: ما يتعلق بالقوات المساعدة للاستبداد

والنوع الثالث من الشعر العربي المقاوم يضم تلك الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوات التي تمد الاستبداد بعونها وهي متمثلة في أفراد وجماعات وطبقات ودول، فمزق الشعراء النقاب عن وجوه أفراد وشخصيات حالفت الاستبداد غدرا بالشعب والوطن. ووصف الشعراء المقاومون الدور المذموم الذي لعبته أحزاب سياسية أو طبقات معينة كالصحفيين والساسة والإعلاميين والدبلوماسيين وحتى بعض الأدباء والشعراء. لم يغفل الشعراء عن كشف الصلة القوية بين الدول المستعمرة والاستبداد المحلي. كشف الشاعر هاشم الرفاعي عن حقيقة البرلمان الذي ليس من دوره إلا التصفيق لكلمات الحاكم المستبد والإشادة بكل ما يقول ويفعل، يقول:

هَاهُم كَمَا تَهْوى - فَحَرِّكْهم- دُمى
لا يَفتحون بغير مَا تَهْوَى فما
إنَّا لَنعلَم أنَّهم قد جُمِّعُوا
لِيُصَفِّقُوا إن شئت أن تكلما[۳]

وكان حبيب جالب شديد الرفض للدستور الذي أتى به الجنرال أيوب خان وقال قصيدة رائعة باسم "الدستور" ذهبت أشعاره هتافات شعبية في الشوارع واضطرت الحكومة إلى التنازل عن تنفيذه، ومما جاء

(۱) جالب، ديوان جالب، قصيدة "بيس گھرانے" (عشرون أسرة)، ص:۱۳۷
(۲) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص:٤١٦
(۳) المرجع السابق، ص ٤١٨

فيها:

دیپ جس کا محلات میں ہی جلے
چند لوگوں کی خوشیوں کو لے کر چلے
وہ جو سائے کے ہر مصلحت میں پلے
ایسے دستور کو صبح بےنور کو
میں نہیں مانتا میں نہیں جانتا[1]

أي: "أرفض هذا الدستور ولن أقبله لأنّه لا يضيء بنوره إلا بعض القصور ولا ينمو إلا تحت ظلال مصالح خاصة معينة تخدم طائفة معينة".

وليست الدساتير كما يرى أحمد مطر سوى وسيلة لإشباع رغبات المستبدين وإخفاء جرائمهم، يقول: أي قيمة للقوانين العظيمة وهي قفاز حريري لذي الكف الأثيمة وأداة للجريمة[2]

ويتصدى الزبيري لمثل هؤلاء الذين يقفون مع الاستبداد مساندين له ويبدي كراهته لمثل هذه الطائفة، ويبرر الدين الذين يستغلونه لتحليل ما حرمه الله فيركل بحجحهم إذ يقول:

ليس في الدين أن نكون بلا رأي
ولا عزة ولا حريه
وعدو الجميع من يحكم الشعب
باسم القداسة العائليه[3]

النوع الرابع: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالشعوب التي تعاني مأساة الاستبداد

والنوع الرابع والأخير من الشعر المقاوم يشمل الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالشعوب المسكينة التي تعاني مأساة الاستبداد لحقبة قصيرة أو طويلة، ويكشف جوانب عديدة لمدى مسئولية الشعوب نفسها في جر وبال الاستبداد على نفسها، ودورها في إطالة الحكم الاستبدادي لتقاعدها عن تغيير وضعها إما بسبب ارتضائها به طمعا في مصالح مؤقته أو خوفا من بطشة المستبدين أو منخدعا بظاهر الأمور، ويشمل ذلك النوع تلك الموضوعات التي ترشد الشعوب نحو الحرية وتنفخ فيها نارا وتمنحهم نورا. فأشد ما تأذى الشعره به هو التزام الشعب بالسكوت وتحمله المظالم، ويعالج الشعراء الأسباب النفسية لتقاعد الشعب عن تغيير الوضع المؤلم الذي يعيشه، وارتضاء الشعب بالاستبداد يمر من عدة مراحل، قد يتنازل الشعب عن حق

(١) جالب، ديوان جالب، قصيدة "دستور" (الدستور)، ص:١٢٩
(٢) مطر، أحمد، لافتات ٤، قصيدة "تحت الصفر"،منتدى سور الأزبكية، لندن، ط ١٩٩٢م، ص:٥٨
(٣) الزبيري، ديوان الزبيري، قصيدة "خطبة الموت"، ص: ١٤٨

الحرية خوفا من بطش المستبد وقد ينخدع بسياسته اللماعة، وقد يلعب بحقوقهم بحجة دينية فلا يجرؤ الشعب على النيل منه، وأبشع مرحلة تلك التي يموت فيها شعور الشعب بالحرية ويؤمن بأن استعباده قدر من الله.

نخشى سيوف الظلم وهي كليلة

ونقدس الأصنام وهي حطامُ

وتذل أمتنا، لفرد واحد

لا تُستقاد لمثله الأنعامُ[١]

وقد يتكاسل الشعب نفسه في نزع حقه من برثن الظالم الذي يزيده تكاسله جرأة اغتصاب حقه، ويسخر الشاعر جالب بهذه الحالة، يقول:

نہیں حق چھینتے ہم غاصبوں سے

مقدر میں ہے ہر ذلت یونہی تو[٢]

أي: "يكتب لنا الذل عندما لا نحاول نزع حقنا من الغاصبين".

والشاعر المصري هاشم الرفاعي متحير -كغيره من الشعراء-بأمر شعبه الذي رغم ما يئن من آلام الحكم الاستبدادي لا يسعى لتغيير الوضع فكأنه ألف الحياة ذليلا، يقول الرفاعي:

مال بَالُ شَعْبِ النيل أَضْحى هادِئا

أَتَراه قد أَلِفَ الحياةَ ذَليلا[٣]

وكذلك يوجه الشاعر اليمني شكواه إلى الشعب الذي آمن بعبودية الإمام وأتباعه عمى وبكما:

رضينا بأنا عبيد الإمام

وإنا كما شاء عميٌ وصم

نكبل أقدامنا بالقيود

ونعقل أفواهنا باللجم[٤]

فلا يستحق اللوم من يرتكب الظلم

ومن يتحمل المظالم فحسب بل

---

(١) المرجع السابق ص: ٢٩٨

(٢) جالب، ديوان جالب، من قصيدة بلا عنوان، ص: ٢٧٧

(٣) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جهاد ضائع"،ص:١٤٠

(٤) الزبيري، ديوان الزبيري، قصيدة "لا تحرقونا بناركم"،ص: ١١٣

يستحق من سكت عنها كذلك

وأغمض عينيه عنه لأغراض شخصية

أو سياسية وغيرهما، والشاعر أحمد فراز

في قصيدة "ويت نام" يسجل صرخته

الاحتجاجية ضد العالم المتحضر

الساكت عن مظاهر الاستبداد والجور،

يقول:

اے مہذب جہاں کی مخلوق

کل ترے روبرو یہی بے ضمیر قاتل

ترے قبیلے کے بے گناہوں کو

جب تہہ تیغ کر رہا تھا

تو تماشائیوں کی صورت

خموش و بے حس

درندگی کے مظاہرے میں شریک

کیوں دیکھتی رہی ہے[1]

أي: "يا خلق العالم المتمدن، أين كنت عندما كان هذا القاتل يقتل بني عشيرتك وكنت تشاهد هذه المجزرة صامتا جامدا بل مشاركا إياه في وحشيته".

ويبدي فيض أسفه على سكوت الناس ورضاهم بحياة الذل والهوان ويسألهم إلى متى يستمر هذا الخنوع لأوامر الظلم، يقول في قصيدة "أنشودة":

اے ظلم کے ماتو لب کھولو، چپ رہنے والو چپ کب تک

کچھ حشر تو ان سے اٹھے گا، کچھ دور تو نالے جائیں گے[2]

أي: "وأيها المضطهدون حركوا شفاهكم، وأيها الصامتون إلى متى سكوتكم.

فكلامكم سيحدث قيامة وسيسمع دويه في الآفاق".

---

(١) فراز، أحمد، ديوان "نايافت" (المعدوم)، قصيدة"ويت نام" (ويت نام)،دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط٢٠١٠، ص:١١٧

(٢) فيض، فيض أحمد، ديوان"دست صبا" (يد الصبا)، قصيدة "ترانه" (أنشودة)، مكتبه كارواں، لاهور، بدون سنة الطبع، ص:٣٨

وقد ينتاب الشعراء العرب والأردين شعور بالاختناق في أجواء الوطن ويتجلى لهم وجه قبيح دون وجهه الجميل الذي يألفونه وينتابهم ذلك بعد ما يطول الليل وتشتد الظلمات وبعد ما يتحول الوطن الحبيب إلى مجزرة الأبرياء والشرفاء والأحرار، نرى الرفاعي الذي عنون قصيدة من قصائده بـ "مصر الجريحة"، يقول:

لا مِصـــرُ داري ولا هـــذي الـــرُبى بَلَـــدِي

إني مـــن الحـــق فيهـــا قـــد نفضـــتُ يـــدي[1]

ويشبهه أحمد مطر وقد انتابه شعور الاكتئاب بالوضع القاسي الذي يعيشه هو والآخرون على أرض الوطن، فلم يعد يألف الديار بعد هذا الدمار، يقول:

إن لم يكن بنا كريما آمنا

ولم يكن محترما

ولم يكن حرا

فلا عشنا

ولا عَاشَ الوَطَن[2]

ويبدي فراز اكتئابه من تكدر العيش في مدينته الحبيبة والتي صارت مقبرة لجثث دون ورثة:

سارا شہر سب مردہ خانہ

کون اس بھید کو جانے گا[3]

كما يستثقل أحمد المطر العيش في الوطن ويعتبر الموت أهون منه، يقول:

الإعدامُ أَخَفُّ عِقَاب

يَتَلَقَّاهُ الفَرد العَرَبِي

أ هُناكَ أَقسى من هذا؟

طبعاً

فَالأقسى من هذا

أن يَحْيا في الوطن العربي[4]

---

(١) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"،ص:٤١٦

(٢) مطر، أحمد، لافتات ٣، قصيدة "يقط الوطن"، منتدى سور الأزبكية، لندن، ط ١٩٨٩م، ص:١١٥

(٣) فراز، أحمد،"بے آواز گلی کوچوں میں " (في طرقات صامتة) قصيدة (المدينة المتدمرة) "شہر آشوب"، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط٢٠١٠م، ص: ١١٢

(٤) مطر، أحمد، لافتات ٦، قصيدة "أقسى من الإعدام"،منتدى سور الأزبكية، لندن، ط١٩٩٦م، ص: ١٣٩

خامساً: بعض خصائص شعر المقاومة

ويتميز شعر مقاومة الاستبداد بالصدق الفني وقد دفع أصحاب هذه الكلمة الصادقة من ثمن كبير من أجل صدق موقفهم بشكل الضرب والقتل والنفي والاعتقال والأسر وغيره من ألوان التعذيب والتخويف، فشخصية الشاعر متحديا قهر المستبد لا تقل عن شخصية البطل في الأساطير والأفلام، فيه يقابلنا الشاعر وهو يستقبل الرصاص على صدره ويتلقى السياط على ظهره ويواجه مظالم الشرطة على الشوارع ويتحمل أبشع أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات ويؤسر ويشرد ويضرب ويجلد، يقصف فكره ويسجن لفظه دون أن يتزعزع أو يتنازل عن موقفه، أو تنبس شفتاه بآهة قد تمنح الطاغية المستبد لحظة سرور، وبذلك يمكن الحكم بأن أدب مقاومة الاستبداد هو أدب صدق وجرأة ورسالة ويلائم الطبيعة الإسلامية التي تؤمن برفع كلمة الحق بدون خوف اللائمين. فمن المعاني المشتركة والمتكررة بكثرة في شعر المقاومة أن الشعراء أدركوا أتم الإدراك بأن ما يميزهم من بقية صفنهم هو موقفهم المحق العادل المقسط ولهجتهم الصارخة الجريئة المخلصة فلو أصابهم شيء من الفتور في أداء فريضتهم أو غلبتهم نزعة طمع لفقدوا هويتهم ودفنوا في كتب الأدب دون أن يذكر لهم أثر، فينفون أي إمكانية للتنازل عن لهجتهم الصريحة مهما كان ثمنها، فإذا كان صدق مقاله مبعث الافتخار لأحمد فراز الذي قال:

دیکھو تو بیاض شعر مری
اک حرف بھی سرنگوں نہیں ہے[1]

أي: "دقق النظر في ديوان شعري لن تجد فيه حرفا واحدا مستسلما".

فصدق الشعر بمثابة حياة الشعر وأن يشوبه زيغ فكري بمثابة قتله، يقول الرفاعي:

فقُلـــت: فِكـــرِي، إحْسَاســـي... أَ أَقْتُلُـــه؟
هـــذَا الَّـــذي لم يَـــدُر يا قـــومِ في خُلْـــدي[2]

ومثلهما الشاعر الأردي جالب الذي يدرك أن الحب الشعبي الذي يلقاه ليس إلا بسبب ثروته الفكرية ولهجته الثورية:

ہر پھول کے لب پر نام مرا چرچا ہے چمن میں عام مرا
شہرت کی یہ دولت کیا کم ہے گر پاس نہیں مال تو کیا[3]

---

(١) فراز، أحمد، ديوان "في طرقات صامتة"(بے آواز گلی کوچوں میں)، قصيدة (أناشيدك أغنى يا وطني) "اے وطن میرا نغمہ گر ہوں"، ص:٤٤

(٢) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"،ص:٤١٧

(٣) جالب، ديوان جالب، قصيدة بدون عنوان، ص:٤٤

وأغلى ما يملكه الشاعر – في رأي الشاعر فراز- هو حرمة القلم وهو الذي يدافع عنها رافضا كل العروض بشكل المناصب والأموال والصلات:

ہمیں نہ حرص حشم، نہ مال ومنال کی آرزو رہی ہے
نہ ہم کو طبل وعلم نہ جاہ وجلال کی جستجو رہی ہے
بس اک قلم ہے کہ جس کی ناموس
ہم فقیروں کا کل اثاثہ ہے آبرو ہے

أي: "لسنا من يطمع في المناصب والأموال ويحرص حرصه لينال علما و حشما. بل نحن فقراء لا يملكون من الأثاث والمتاع غير حرمة أقلامهم. ولا نملك غير الصدق، فهو ملكنا الوحيد".

فالصدق هو المتاع الحقيقي الذي يكسب الشعر الحر خلودا وبقاء عديمي النظير، ولولا الصدق لفقد الشاعر احترامه وفقد شعره قيمته، والشاعر يجدد وفاءه بصدق رسالته وحرمة قلمه. وجرأة الشعراء – وأحمد مطر واحد منهم- منبعها صدق المقال، ولذلك لا يرى نفسه فردا عاديا، بل إنه واحد ممن انضم إلى القافلة الحسينية في ميدان كربلاء، يقول:

لست أهتم – بمن كان معي أو كان ضدي
لست أهتم بمن أترك بعدى – لست أهتم بمن يبكي دموعا
أو بمن يبكي دماء – ليس عندي غير هم واحد
أن أسبق الموت إلى العيش – فأغدو من ضحايا كربلاء[1]

والشاعر يملك سلاحه بشكل القلم وهو أداة صدق ومنارة نور ومنبع الحق وهو الذي يضمن للشاعر وشعره بقاء وخلودا:

قلم سے عہد وفا کیا ہے - قلم تو پھر سچ بولتا ہے
اٹھاؤ آنکھیں کہ سچ امر ہے- قلم کا وجدان معتبر ہے[2]

أي: "عقدنا عهد الوفاء بأقلامنا، لأن القلم لا يعبر إلا عن الصدق، ولن يخدعك القلم أبدا والصدق هو الحق فاجهر به معتزا فخورا".

ومن ميزة هذا الأدب جماله وصموده، فهو أدب اكتسب الخلود والبقاء فيصلح لكل زمان ومكان،

---

(۱) مطر، أحمد، لافتات ۳، قصيدة "الاختيار"، منتدى سور الأزبكية، لندن، ط ۱۹۸۹م، ص:۱۰۳

(۲) فراز، أحمد، ديوان "في طرقات صامتة"(ہے آواز گلی کوچوں میں)، قصيدة (وجه هشوش عيون حية) "ندیم چہرہ، ندیم آنکھیں"، ص:۵۰

لأن المأساة تتكرر بنفس الشكل والرسالة تظهر بنفس القوة. وعلى سبيل المثال،القصائد الأردية التي قيلت في العهود الديكتاتورية في سبعينيات وثمانينيات من القرن العشرين لا تزال تصلح وتلائم يومنا وساعتنا، وتروى وتنشد بنفس القوة وبنفس الشوق. وشعر مقاومة الاستبداد –إضافة إلى كونه شعرا جميلا- شعر تعليمي وتربوي وملتزم يحمل رسالة سامية ويحرض الإنسان على مواجهة النظام المحتل وقمع جذور الاستبداد والنهوض للتغيير والثقة بالنفس ويبعده عن اليأس والخمول ويحيي في قلبه المتمزق نار الحياة ويريه في ظلمات الليل بصيص الأمل.

ومن أهم سمات شعر مقاومة الاستبداد باللغتين العربية والأردية أنه يتسم بالبساطة المصحوبة بعمق التجربة الشعرية وصدقها، ويقد يفسر ذلك بأنه شعر يخاطب العامة والجمهور، لأن الظروف القاسية لم تعد تصلح لتقبل شعرا يغلبه اللون الرمزي أو الفلسفي، و"جوهر الشعر ليس في شكله الخارجي من وزن وقافية وألفاظ خاصة أو موضوعات خاصة، وإنما هو في التجربة الروحية التي تمر بنفس الشاعر، ولا بأس أن تكتب هذه التجربة في لغتها الحقيقية أو قل في لغة بسيطة كتلك التي يتفاهم بها أفراد الشعب"[1]، فيجد الدارس شعراء المقاومة جميعا يعبرون عن معان سامية ومبادئ راقية بعبارات في غاية البساطة ذهبت شعارات وهتافات دون أن يخل ذلك بال، فانظر إلى قول الشاعر حبيب جالب وهو يشرح الحق الإنساني الأساسي، يقول:

بات یہی ہے بنیادی
لوگوں کو ہو آزادی[2]

وانظر إلى الشاعر الزبيري وهو يكشف عن مظاهر الرخاء المؤقتة في عهد الاستبداد ويرفض كل أنواع العروض والمغريات رفضا تاما، يقول:

ولـــيس يجـــدي دفينـــا، أن حفرتـــه
مزدانـــة طفحـــت بالعطـــر والعـــود[3]

الخاتمة

اقتربت المقاومة الشعرية العربية والأردية للاستبداد من أرض الواقع وعالم الحقائق وعقلية المواطن العادي دون أن يتيه في وادي الخيال البعيد وأفلاك الفكر الغامض، كل ذلك بلغة سهلة سلسة مع عمق محتوي وفكري بعيدا عن التلاعب بالألفاظ والتشدق بعبارات مليئة بالمفردات النادرة غير المألوفة، ولم يقتصر

---

(١) ضيف، دكتور شوقي، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة العاشرة، ص:١٩٧و١٩٨

(٢) جالب، ديوان جالب، قصيدة "ماذا تعني باكستان" (پاکستان کا مطلب کیا) ، ديوان جالب، ص: ١٦٢

(٣) الزبيري، ديوان الزبيري، قصيدة إلى الشهيد الموشكي، ص: ٢٨٨

الشاعر وهو يقاوم الاستبداد على دوره فحسب، بل تراه يفكر ويرشد ويقاوم ويدبر، يتحدى ويصلح ويخطب ويثور، وبذلك يتجلى الشاعر جنديا باسلا يقاتل في أول الصفوف، قائدا يقود الركب مستعدا لاستقبال الرصاص على صدره، وخطيبا يثور ثورة علنية وواعظا يثير هم الضعفاء والمظلومين وطبيبا يعالج جروح الجرحى ببلسم شعري ومفكرا يشخص داء الأمة ليخرجها من مأزقها، وإلى هذا النوع من الشعراء يرجع الفضل في إشعال نار الثورة وإخراج الشعر المأسور في بهو القصور وتقريبه إلى الشعب وريادة في منح هذا اللون صبغة شعبية حرة ونستطيع أن نقول – دون تعسف – أن فن الشعر الحديث لم يعد وسيلة لهو وأداة تسلية للحكام، فالحاجة ماسة إلى دراسة كل شاعر مقاوم بالتفصيل وما يزخر شعره من أفكار ومضامين وما يتسم به من صفات وخصائص، وتوفر هذه المادة مجالا واسعا للباحثين ليقوموا بدراستها الأدبية والنقدية، كما يجب ترجمة هذه الأعمال إلى لغات مختلفة.

نتائج البحث

١. لم يسهم في مقاومة الاستبداد شعراء تيار معين أو اتجاه خاص بل كانت القضية تخص الجميع بغض النظر عن انتمائهم النظري والعرقي واللساني، وغلبت شعر المقاومة نزعة إنسانية عالمية وكذلك كان الدافع لمقاومة الاستبداد مشتركا بين سائر الشعراء، فلم يك هذا الشعر هجاء محضا نتيجة حرمان شخصي أو حقد ذاتي دفع صاحبه إلى الانتقام بل كانت ثورة فطرية بدافع حب الحق والعدل وكان رد فعل مساو لمظاهر الظلم والقسر في المجتمع.

٢. اتسمت حياة شعراء مقاومة الاستبداد بالكفاح والنضال والتضحية والثبات وبذلك تجلى الصدق الموضوعي بكل قوته في مقاومتهم الشعرية للاستبداد.

٣. رسالة المقاومة تستهدف القوة المستبدة والشعوب التي تعاني الاستبداد معا، فهي تزخر بموضوعات وقضايا تكشف الوجه الحقيقي للقوة المستبدة وتمزق نقابها مشخصة أسباب بداية داء الاستبداد وانتشاره ومجلية تقصير الشعوب نفسها الذي أدى إلى تقوية دعائم الاستبداد، ولم يطعن شعراء المقاومة برماحهم الشعرية في صدور المستبدين والطغاة فحسب بل كشفوا عمن يسانده من أفراد وأحزاب وطبقات ودول.

٤. حرية الشعب هي الدرة المفقودة المسلوبة التي سعى شعراء المقاومة التي من أجل اكتشافها واستعادتها، الحرية التي تمنح حياة الفرد والمجتمع شرفا وكرامة وبفقدانها يفقدان الأمل في العيش والسعي من أجل التحسن والتقدم.

❁❁❁